فكان العاشق يبيع املاكه وينفقها على معشوقه فيفتقر كذلك محب العلم فان يستغرق
في طلبه العمر فيذهب ماله ولا يتفرغ لمكسب فاذا احتاج دخل في مداخل صعبة فمنهم
من يتعلق بالسلاطين اما ان يدخل في اشغالهم او يطلب منهم ومن العلما من يطلب اصل طالب
من العوام البخلا ومنهم من يرجع عن الجد في العلم الى الكسب وقد كان للعلما قديما
حظ من بيت المال يغنيهم وكان فيهم من يعيش في ظل سلطان كابي عبيد مع ابن طاهر
والزجاج مع ابن وهب ثم كان للعلما من يراعيهم من الاخوان حتى قال ابن المبارك لولا
فلان وفلان ما تجرت وكان يبعث بالمال الى الفضيل وغيره ثم قل ذلك المعنى فصار اقوام
من التجار يفتقدون العلماء بالزكاة فذهب الزمان وقد وصلنا الى زمان تقطعت
فيه هذه الاسباب حتى لو احتاج العالم فطلب لم يعط فاولى الناس من يحفظ المال
وينميه اليسير منه والقناعة بقليله توفر لحفظ الدين والجاه والسلامة من منن العوام
الاراذل للعالم الذي فيه دين وله انفة من الذل وقد قال منصور ابن المعتمر ان الرجل
ليسقيني شربة من ماء فكانه دق ضلعا من اضلاعي وقد كان اقوام في الجاهلية اذا
افتقروا لا يرون سوال الناس فيخرجون الى الجبل فيموتون فيه فاذا اتفق للعالم عائلة
او حاجات وكفت اكف الناس عنه ومنعته انفته من الذل هلك فالاولى لمثل هذا
في مثل هذا الزمان المظلم ان يجتهد في كسب ان قدر عليه وان امكنه نسخ
باجرة ويدبر ما يحصل له ويدخر الشي لحاجة تعرض لئلا يحتاج الى بذله وقد يتفق
للعالم مرفق فينفق ولا يدخر عملا بمقتضى الحال ونسيانا لما يجوز وقوعه من
انقطاع المرفق وطبعا في نفسه من الف البذل والكرم فيخرج ما في يده فينقطع مرفقه
فيلاقي من الضر ومن الذل ما يكون الموت دونه فلا ينبغي للعاقل ان يعمل بمقتضى الحال
الحاضرة بل يصور كل ما يجوز وقوعه واكثر الناس لا ينظرون في العواقب فكم من مخا
صم سب وشتم وطلق فلما افاق ندم وقد كان يوسف ابن اسباط تزهد ودفن كتبه
فلم يصبر عن الحديث فحدث من حفظه فغلط فضعفوه وقد تزهد خلق كثير فاخرجوا
ما بايديهم ثم احتاجوا فدخلوا في مكروهات وكان الشبلي يقعد على خمسين الفا
فتزهد وفرقها فنزل به قوم من الصوفية فبعث الى بعض ارباب الدنيا فطلب منه
فقال له يا شبلي اطلب من الله عز وجل فقال له انا اطلب من الله عز وجل واطلب

الدنيا من خسيس مثلك

الدنيا من خسيس مثلك فبعث اليه مائتي دينار وقال ابن عقيل ان كان بعث
اليه اتفاذ مه فقد اكل الشبلي الحرام وقد تزهد ابو حامد الطوسي واقام سنين ببيت
المقدس ثم عاد الى وطنه فبنى دار الكبيرة وغرس بستانا فمثل هذا المتزهد المخرج لماله
المغربيا سه كمثل ماء عمل له سكر فانه يمنعه من الجريان ثم علا الماء في باطن السكر
الى ان ينقب ولهذا كان ابو هريرة رضي الله عنه اذا راى شبابا قد تنسكوا يقول الموت الموت
جاءهم خوفا من تغير حالهم وكذلك مخرج المال في حال الغنى اذ لم يحسب وقوع الفقر
وقد راينا ابا الحسن الغزنوي وقد بني له رباط ببغداد ووقفت عليه قرى فكان
يقول يدخل لي في كل سنة ثلاثة الاف وستمائة دينار فالف ومائتين لي ولاولادي
واهلي والف ومائتين لاهل الرباط والف ومائتين للمجلس وكان يعطي العلماء والقراء والز
هاد ولا يقبل منة احد حتى افطر في رمضان عند الوزير ابي القاسم الزينبي فبعث
اليه خلعة قبل العيد وهذه عادتهم فيمن يفطر عندهم فحدثني الحاجب انه
حملها اليه فقال لا اقبل قال فبحثت له هذا وبالغت حتى قبل على مضض و
كان يقول عرضت علي خمسة الاف دينار فدفعتها بهذه الاصابع الخمس وقلت
لا حاجة لي فيها وكان يظن دوام ما هو فيه فاتفق موت السلطان مسعود فاحضر
باب الحاكم ووكل به واخذت منه القرى فافتقر فحدثني محاسن ابن حماد قال كان
بين الغزنوي وبين عبد الرحيم الملقب شيخ الشيوخ وحشة فلما افتقر الغزنوي بعث
معي اليه بمائة دينار وبرقعتين لكارات دقيق فجئت بها اليه فقال لا اقبل فردها عليه
ثم التفت الي لانبساط كان بيننا فقال اغتنى انت بعشرة دنانير وخمس كارات فالصبيان
جياع وكان يقول من الناس من يحب الموت فمات قريبا وقد كان تمكنه ان يشتري
من دجلة قرى والحازم من يحفظ ما في يده كما قال سفيان الثوري من كان بيده شيء
من المال فليجعله في قرن ثور فانه زمان من احتاج فيه كان اول ما يبذل دينه
وقد كان صالح ابن الامام احمد تولى القضا باصبهان فلما قرئ عهده بكى وقال ابن عبيد
ابي تراني على السواد وكل هذا توليته حتى ركبني الدين وكثر العيال وكذلك يحيى
عن حفص ابن غياث وغيره من القضاة وقد كان المتوكل يبعث الى اولاد الامام احمد
الالوف وانما كان صالح سخيا فالسخي الذي لا يحسب الاخير لا ينبغي سخاوه بما يلقى اذا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)